ردمد
٢٥١٨-٩٢٧١
ردمد الالكتروني
٢٥١٨-٩٢٦٠

ديوان الوقف الشيعي
العتبة العباسية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
مركز الدراسات الافريقية

مجلة دراسات افريقية

مجلة فصلية محكمة
تعنى بشؤون القارة الافريقية
تصدر عن مركز الدراسات الافريقية

العدد
الواحد والعشرون
المجلد الثاني
جمادى الآخرة ١٤٤٧ هـ
كانون الأول - ٢٠٢٥ م

المجلد الثاني
العدد الحادي والعشرون

مجلة دراسات إفريقية

جمادى الآخرة ١٤٤٧هـ
كانون الأول ٢٠٢٥م

volume 2
Issue 21

Journal of African Studies

Jumada al-Thani 1447
December . 2025

المحتويات

دور قوات حفظ السلام في إفريقيا (كوت ديفوار (ساحل العاج) انموذجاً)	مهند عبدالواحد النداوي اسراء محمد حيدر البهادلي	٢٣
علاقات تشاد الخارجيَّة وأثرها على الوضع الداخلي ١٩٦٠- ١٩٨٨	أياد عبد الرحمن شيحان الركابي	٥٩
الدور المتنامي للشركات الأمنية غير الحكوميّة في إفريقيا جنوب الصحراء في إطار صراع النفوذ بين القوى الإقليمية والدولية.	مايسة خليل حسن السيد	٩١
من الجغرافيا إلى السياسة: تشكّل نظام الأبارتهايد وجدلية العرق في جنوب إفريقيا(١٦٥٢- ١٩٩٤)	هديل عباس حمد	١٦٣
نهر النيل وأثره على المجتمع في بلاد النوبة (٥٠٠-١٧٠٠م)	رأفت عبد الناصر فتحي أحمد	١٩٣
التعليم في سيراليون خلال مدة الاستعمار البريطانيّ ١٨٠٨ ـ ١٩٦١	أحمد مظهر جلعوط الهلالي	٢٤١

المجلد الثاني
العدد الحادي والعشرون

مجلة دراسات إفريقية

جمادى الآخرة ١٤٤٧هـ
كانون الأول ٢٠٢٥م

volume 2
Issue 21

Journal of African Studies

Jumada al-Thani 1447
December . 2025

اللغة العربيَّة وتحديات التخطيط اللغوي في السياسة التعليمية النيجيريَّة	أحمد غربا	٢٨٧
دور المرأة السنغاليَّة في مقاومة الاحتلال الفرنسيّ: "اندَتِي يَالَّا امْبُوْجْ" و "آلِنْ سِتُّيي جَاتَ" نموذجا (خلال الفترة الممتدة من عام ١٨٤٧ إلى عام ١٩٤٤)	إبرا جوف	٣١٥
صدى الاستعمار الفرنسيّ في أدب غرب إفريقيّا المعبَّر عنه بالعربيَّة (دراسة حالة السنغال ومالي) خلال القرن العشرين: مسح عام لمواقف الأدباء	إبرا جوف	٣٣٧
اللُّغة العربيّة وقضايا توطيد العلاقات العربيّة الإفريقيّة	هداية تاج الأصفياء حسن البصري	٣٥٧
شخصية العدد: هاستينغز كاموزو باندا	بسام رضا محمد	٣٨١
عرض كتاب: دور الفولانيين ودولتهم في دخول الإسلام ونشر معارف أهل البيت عليهم السلام في غرب أفريقيا	محمد تقي المبارك	٣٨٩

صدى الاستعمار الفرنسيّ في أدب غرب إفريقيّا المعبَّر عنه بالعربيَّة (دراسة حالة السنغال ومالي) خلال القرن العشرين: مسح عام لمواقف الأدباء

مجلة دراسات إفريقية

Journal Homepage: http://studies.africansc.iq/
ISSN: 2518- 9271 (Print) ISSN: 2518- 9360 (Online)

صدى الاستعمار الفرنسيّ في أدب غرب إفريقيّا المعبَّر عنه بالعربيَّة

(دراسة حالة السنغال ومالي) خلال القرن العشرين: مسح عام لمواقف الأدباء

إبرا جوف
جامعة شيخ أنت جوب – السنغال
أستاذ اللغة العربيَّة في مدارس السنغال وباحث في الشؤون الإفريقيَّة
dioufhassane25@gmail.com

تاريخ الاستلام:
٢٥/ ١٠/ ٢٠٢٥
تاريخ القبول:
٣٠/ ١٠/ ٢٠٢٥
تاريخ النشر:
١/ ١٢/ ٢٠٢٥

الكلمات المفتاحية:
الاستعمار، الأدب، غرب إفريقيّا، السنغال، مالي.

ملخص البحث:

لما كان الأدب مرآة تعكس حياة المجتمعات الإنسانية سياسيا واجتماعيا وثقافيا....، فإن أدباء إفريقيّا جنوب الصحراء عامة، والغرب الإفريقيّ على وجه الخصوص، لم يألوا جهدا في تصوير مجتمعهم إبّان الموجة الاستعمارية الغاشمة وفي الفترات التي تلتها ، بما ظهرت فيه مواقفهم المزدوجة تجاه الاستعمار، منقسمين في ذلك إلى فئات مختلفة ، فمنهم من يوالي المستعمر الفرنسيّ، ومن يعارض ، وفئة ثالثة مغلوبة على أمرها، بجانب فئة أخرى غامضة الموقف.

وتهتم الدراسة في رصد مواقف هذه الفئات الأربع استنادا إلى نصوصهم بين شعر ونثر.

المجلد الثاني العدد (٢١)
شهر جمادى الآخرة – ١٤٤٧هـ
كانون الأول ٢٠٢٥م

The Echo of French Colonialism in West African Literature Expressed in Arabic (Senegal and Mali) During the 20th Centurie: A General Survey of Writers' Positions

Ibra Diouf
Cheikh Anta Diop University, Dakar – Senegal
Researcher in African Affairs
dioufhassane25@gmail.com

Received:
25/10/2025
Accepted:
30/10/2025
Published:
1/12/2025

Keywords:
Colonialism- Literature – West Africa – Senegal – Mali

Journal of African Studies
volume (2)
Issue (21)
Jumada al-Thani 1447 H

Absrract

Since literature serves as a mirror reflecting the political, social, and cultural life of human societies, writers from Sub-Saharan Africa in general—and West Africa in particular—spared no effort in portraying their communities during the brutal wave of colonialism and the periods that followed. Their positions were often dualistic, dividing them into various categories: some supported the French colonizer, others opposed it, a third group was powerless to resist, and a fourth held ambiguous stances.

This study aims to document the attitudes of these main groups based on their literary texts, both poetry and prose.

مقدمة:

يمثل الأدب أداة فعّالة لتشخيص المواقف، فللأديب وظيفة اجتماعية وعلى لسانه يتم التعبير عن المواقف في كل ما يعصف بالمجتمع من خير أو شر، ومن سلم وحرب، ومن هرج ومرج.

وما زالت ظاهرة الاستعمار مثارا لمواقف متباينة عند عامة الشعب؛ الأدباء منهم وغير الأدباء.

وفي هذه العجالة، نتعرض لجانب من المواقف المختلفة لأدباء الغرب الإفريقيّ، واخترنا السنغال ومالي كعينة.

أسباب اختيار الموضوع:

يرجع اختياري لهذا الموضوع إلى عدة أسباب هي:

- أهمية الأدب ومقدرته الفنية في دراسة المجتمعات؛ فالإشعاع الأدبي وسيلة ناجعة في تصوير المجتمع مختلطا في ذلك الأدب والتاريخ، فيكتسب القراء في آن واحد المتعة الأدبية والزخم التاريخي الأصيل.
- سد فجوة أدبية مهمة متمثلة في نصوص تفصح عن موافق الأدباء تجاه الاستعمار في القرن العشرين الميلادي؛ فالنصوص المتوفرة في ذلك نذر يسير متناثر في بطون الكتب أو المخطوطات.

أهمية الدراسة:

هذه الدراسة من الأهمية بمكان؛ حيث إنها جاءت للم شتات النصوص الأدبية ذات الصلة بالاحتلال الفرنسيّ بالمنطقة.

كما تمس حلقة شبه مفقودة في الأدب الإفريقيّ المعاصر؛ فجزء مهم من النصوص المستخدمة في هذا العمل كانت عبارة عن مخطوطات تأخر نفض التراب عنها وإخراجها إلى النور؛ مما أدى إلى عدم تناول الباحثين في الأدب الإفريقيّ لها في أشهر مؤلفاتهم في المجال خاصة الجانب النثري.

ويضاف إلى ذلك أن هذه الدراسة تضع الأصابع على مواقف الأدباء الأوائل من الوجود الاستعماري من خلال نصوص شعرية حينا ونثرية حينا آخر؛ مما يساعد في ربط الماضي بالحاضر على شكل حلقة أدبية متكاملة المادة.

الوحدة الأولى: الموالون للاستعمار:

كان بعض أدباء المنطقة يقفون في صف المستعمر الفرنسيّ، ينافحون ويدافعون عنه ويشدون أزره، وهذا طبيعي؛ فالقوى المتطفلة على شعب ما، لا مناص من أن تدعمها عناصر أهلية، خاصة إذا كانت تلك القوى تُقدم على تطوير المجتمع بإنشاء مؤسسات قوية، ودعمه ثقافيا واجتماعيا واقتصاديا، بإنعاش التعليم والإشراف على القائمين عليه، وتسوية النزاعات والنعرات القومية وإيجاد رواتب للعمال، وخلق فرص العمل للشريحة الفقيرة البائسة.

ولذلك؛ لم يكن هذا الموقف حكرا على منطقة دراستنا، فقد تغنى صنف من أدباء المناطق الأخرى المحتلة بأمجاد المستعمر وعظمته، فعلى سبيل المثال يقول الشاعر السوداني، عبد الرحمن شوقي مؤيدا للاستعمار [1]: [من الطويل]

مَلَكْتُمْ جَمِيعَ الْأَرْضِ شَرْقًا وَمغْرِبَا فَطَوْعًا وَكَرْهًا كُلُّ شَيْءٍ لَكُمْ يُجْبَى

وَكُنْتُمْ لِهَذَا الْكَوْنِ شَمْسًا مُنِيرًا وَقُطْبًا لِهَذِهِ الْأَرْضِ إِن ضَلَّتِ الْقُطْبَا

وَفِي الْغَرْبِ أَمْ فِي الشَّرْقِ أَرْضٌ وَمَا بِهَا لَكُمْ مُخْلِصٌ إِذَا مَا دَعَوْتُمْ لَهُ لَبَّى

ويستغرب كبا عمران وجود مثل هذا الموقف عند بعض العلماء الشعراء، وعند غيرهم من شيوخ الطرق الصوفية وزعماء الدين[2].

وقد علل هذا الصنف موقفهم تجاه المحتل بعوامل الضرورة والضعف وعدم إمكان الجهاد والهجرة؛ نظرا لسيطرة العدو واستحواذه على جميع البلاد الإسلامية،

(١) عمران كبا، الشعر العربي في الغرب الإفريقيّ في القرن العشرين، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم الثقافية، إيسسكو ٢٠١١ ج:١، ص: ١٧١.

(٢) المرجع نفسه والصفحة.

بل إنهم أقروا كثيرا من الشئون الدينية، ولم يمنعوا المسلمين من إقامة الشعائر[١].

واستخدموا في التعبير عن هذا الاتجاه الشعر والنثر، ومما جادت به قرائح شعراء هذه الفئة، قول أحد شعراء صحراء مالي محمد بن الشيخ يشكر للاستعمار بعض إنجازاتهم المادية [٢]: [من الكامل]

تِـلْـكَ الْـفَـرَنْـسَـا دَوْلَـــةٌ مَـطْـبُـوعَـةٌ ... بِـالْخَـيْـرِ فِي الْإِعْـــلَانِ وَالْإِسْرَارِ

وَعَـــدَالَـــةٌ وَسِـيَـاسَـةٌ وَأَمَـانَـةٌ ... وَسَـــمَاحَـــةُ الـرِّفْـقِ وَالْإِيـثَـارِ

وَبِـلَادُنَـا كَـانَـتْ قُـبَـيْـلَ وُرُودِهَـا ... فَـوْضَى بِـحَـالِ الـشُّـؤْمِ وَالْأَكْـدَارِ

وَالْأَمْـــنُ كَـانَ بِهَـا مُحَـالًا عَـادِمًا ... وَالـظُّـلْـمُ كَـانَ طَـبِـيـعَـةَ الْـكِـبَـارِ

سُـكَّـانُهَـا كَـانُـوا بِـضِـيـقٍ كَـامِـلٍ ... فِي غَـايَـةِ الْأَحْـــزَانِ وَالْإِعْـسَـارِ

وَتَـقَـاتُـلٍ وَتَـنَـاهُـبٍ وَتَحَـــارُبٍ ... وَالـسَّـبْـيِ لِـلْآهَـالِ وَالْأَذْرَارِ

وَالْـغَـصْـبِ لِـلْأَمْـوَالِ قَـهْـرًا وَاغْـتِـصَـا ... بِ نِـسَـائِـنَـا وَالْـبَـيْـعِ لِـلْأَحْـرَارِ

سَـاقَ الْـفَـرَنْـسَـا لِـلْـخَـلَائِـقِ رَحْمَـةً ... فَـأَنْـتَ لِـكَـشْـفِ الـضُّـرِّ وَالْإِضْرَارِ

مَـنَـعُـوا الِـبـلَادَ مِـنَ الْـعَـدُوِّ وَنَهْـبِـهِ ... كَـفُّـوا يَـدَ الْـغُـصَّـابِ وَالْأَشْرَارِ

لَمْ يَـمْـنَـعُـوا أَحَـــدًا إِقَـامَـةَ دِيـنِـهِ ... لِـلـدِّيـنِ هُـمْ مِـنْ أَكْـبَرِ الْأَنْـصَـارِ

---

(١) عبد الرحمن سيسي ، صدى الاستعمار الفرنسيّ في مخطوطات السودان الغربي ، دار القلم للنشر والترجمة والتدريب ، ماماكو-مالي، ط:١، ٢٠١٩، صص: ١٨-١٩.

(٢) عبد الرحمن سيسي ، المرجع السابق، ص:١٩. وكبا عمران ، المرجع السابق، ج:١،صص: ١٧٢-١٧٣.

بَـنَـوْا الْمَـسَـاجِـدَ لِـلـصَّـلاَةِ إِعَـانَـةً لِـذِوِي الـصَّلاَةِ عَـلَى مَـدَى الْأَعْـصَـارِ

جَعَلُوا الـرَّوَاتِـبَ لِلْقُضَاةِ لِيَحْكُمُوا بِـعَـوَائِـدِ الْـقُـرْآنِ وَالْآثَـارِ

فَـتَـحُـوا الْمَـدَارِسَ لِـلْـعُـلُـومِ تَـبَرُّعًـا بِـرَوَاتِـبٍ لِمُـعَـلِّـمٍ ولِـقَـارِ

وفي مدح مرشال [١]، يقول محمد عيان سي السنغالي مظهرا رجاءه لانتصار فرنسا في الحرب العالمية الثانية [٢]:[من البسيط]

هَـذِي فَـرَنْـسَـا وَذِي أَوْلاَدُهَـا زُمَـرَا حَـفَـوْا مَـغْـنَـاكَ لاَ يَـبْـغُـونَ إِلاَّكَـا

هُـمُ الْأَحِـبَّـةُ إِنَ سَـادُوا وَإِنْ غُـلِبُـوا تَـفْـدِي نُـفُـوسُـهُـمْ فِي الـرَّوْعِ إِيَّـاكَـا

أَبْـطَـالُ «وُرْدَانَ» مَـازِلْـنَـا نُـمَـجِّـدُهُـمْ مَـهْـمَا لِـنَـفْـسِـكَ كَـانَ الْـيَـوْمُ أَهْـدَاكَـا

لَـبَّـيْـكَ مِـرْشَـالُ الْحَـرْبَ فُـزْتَ بِـهَا نَـرْجُـوهُ فِـينَـا وَقَـدْ فُـزْنَـا بِـمَـحَـيَّـاكَـا

مَـنَـعْـتَ مِـنْ جَـرَيَـانِ الْـبَـحْـرِ مَـنْ دَمِ مَـنْ لَـوْلاَكَـا قَـطَـعَ مِـنْـهُ الـدَّهْـرُ أَسْـلاَكَـا

مُـسْـتَـعْـمَـرَاتُ فَـرَنْـسَـا أَبْـشِـرُوا سَـيَـرَى مَـاكَـانَ يَـأْمُـلُـهُ هَـذَاكَ أَوْ ذَاكَـا

وأما نثرا، فقد سعى هذا الصنف حثيثا للدخول بالسلطات الفرنسيّة في قلوب المواطنين على المستوى الوطني-الإقليمي، وعلى المستوى الدوَلي:

أما إقليميا، فنورد رسالة أحمد باب إلى شيخ المدن مديد، وهذا نصها: « إلى شيخ المدن مديد، وموجبه إليك أن والي السودان أرسلني إلى أهل هذه الأرض، وجميع

(١) حاكم فرنسي.

(٢) عمران كبا، المرجع السابق ، ج:١ص: ١٧٣، نقلا عن درامي قاضي ، صحراء مالي وشعرها العربي.

أموشع [التوارق] أن أكلمهم، وأعرف منهم من هو صديق ومن يحب معاشرتنا ومودتنا؛ لذلك أرسلت إليك؛ لأنك كنت صاحبا لنا ومحبا، واليوم شوشك شياطين معك في خيمتك حتى صرت إلى ما صرت إليه. واليوم أرسلت إليك لأعرف ما في ذهنك وعقلك والطوية التي طويت عليها، وأنا أذكِّرك، وأنبهك أن أكيس القوم من لا يلتمس الأمر بالقتال.

فكن كيسا لبيبا، تعرف لأهل الدنيا مداخلهم، ومخارجهم، وأن الفرانسيس، قد ملكوا الأرض شرقها، وغربها، ويمينها، وشمالها، فلا تقصد أرضا اليوم إلا تجدهم أمامك؛ ولذلك نبهناك؛ لتكون على بصيرة فصاحبنا؛ لتبقى في مسكنك، وملكك، فالهنا والخير والعافية، وأنا-إن شاء الله- أحب، وأفرح بملاقاتك، والمكالمة معك، ولا تسمع قول الوشاة، والسفلة من الناس»[١]

ومما ينسبه بول مارتي إلى الشيخ الحاج مالك سي [٢] (ت ١٣٤٠هـ/ ١٩٢٢) هذه الوصية: «اقبلوا الحكومة الفرنسيّة بالكلية، لقد خص الله تعالى الفرنسيّين بالانتصار والنعمة والمنة. قد اختارهم الله كي يجمعوا أنفسنا وأموالنا .... قبل وصولهم إلى بلادنا كان بعضنا يسبي بعضا، ويقتله، ويسلبه، سواء كنا مسلمين أو كافرين»[٣] ولم تكن علاقات الشيخ بالمحتلين سيئة «ولو توترت علاقاته بالفرنسيّين لما غادر بلدة « Ndiarné» ليقيم بتواوون «Tivaouane»[٤]، ولكن من يعرف هذه القامة الإسلامية، ودورها في نشر الإسلام وحمل لواء التجانية شامخا عاليا في ربوع بلاد السنغال، لا يمكنه بأي حال تصديق نسبة هذا الكلام إليها، فأمارات الوضع على النص بادية؛ لا سيّما هذه العبارة»» اقبلوا الحكومة الفرنسيّة بالكلية «.

---

(١) عبد الرحمن سيسي ، المرجع السابق،: ٢١-٢٢

(٢) أشهر ممثلي الطريقة التجانية في بلاد السنغال.

(٣) عمران كبا ، المرجع السابق، ج١، ص ١٧٦، نقلاعن عامر صمب، ج: ٢ ص: ١٣٣

(4) Mouhamadou Mansour DIA , pensée sociologique de Elhadji malick sy : kikayatu-ar-raa'hibiin , essai,abis-édition , 2013 , p : 22.

وأما دوليا، فقد تم تجنيد رجال وسفارات من السودان الغربي إلى العالم الإسلامي؛ بهدف توعية المسلمين، لتأييد فرنسا، وعدم محاربتها، وذلك من خلال مراسلات بين سكان جنوب الصحراء وبين العالم الإسلامي، بخاصة الدولة العثمانية، ويمثل هذا النموذج خطاب أحمد باب بن محمد بن حمد الحاجي، باسم قاطني القطر الغربي للقارة الإفريقيَّة، ومن مقتطفاته: «وبعد، فالسلام التام، والرحمة، والإكرام من جماعة البياضين [العرب] من مسلمي إفريقيّا الغربية بصحراء شمالي نهر السنغال إلى إخواننا مسلمي اسطامبول.

إعلام لكم، وإعلان بأن ما فعلتم من التدخل في شؤون الحروب الأروبية بين الدول العظمى بعد تصريحكم باعتزال الفتن بين الدول أمر ليس من السياسة الإسلامية في شيء، بل هو فعلنة شنيعة، وخصلة بشعة، تجر لكم غاية الوهن، والضعف، بعد ما كنتم عليه ذلكم، ولا سيما وقد تعديتم على الدولة العظمى دولة الفرنسيّس مع ما علمتم من موالاتها للإسلام من قديم الزمان، ونصرتها لرومة [١] ، ومناصحتها لهم، وذبها عن حرمهم (.....) « فإياكم أن تسمعوا لمن يلقيكم فيما يضركم دينا ودنيا، فإنكم إن فعلتم ذلك، يسوقكم إلى ما يبكيكم.»

كُتب ٢٢ من المحرم الحرام عام ١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م لعبد الفقير أحمد بن بابا بن محمد الحاجي لطف الله تعالى به، وبأحبته آمين [٢].

---

(١) روما (Roma)عاصمة إيطاليا.

(٢) عبد الرحمن سيسي، المرجع السابق، صص: ٢٤-٢٥.

الوحدة الثانية: المعارضون:

إزاء الفئة المؤيدة للاستعمار، يقف معارضون باسلون، أفصحوا عن موقفهم عيانا بيانا من غطرسة المستعمر، وامتلاكه للأرضي غصبا وقسرا، ودحره للمقاومين غدرا وجورا، وقلبه للموازين ظلما ولؤما. وتناولت نصوص أصحاب هذا الاتجاه الشعر والنثر:

ومن **الشعر** قول محمد العاقب بن سيد عبد الله بن ياب الجكني [(١)]:(تـ ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م) [من الطويل]:

تَـــاللهِ مَـــا لِـكَـــافِـرٍ عَـهْـدٌ وَلَا ... لَـــهُ أَلْـــيَـــةٌ إِذَا مَـــا يَـــأْتَـــلِ
وَالْـوَيْـلَـةُ الْـكُـبْرَى طُـمُـوحُـهُـمْ إِلَى ... الْـبِـيضِ ذَوَاتِ الْـغـنْـجِ وَالـتَّـدَلُّـلِ
وَعْـدُ الـنَّـصَـارَى كَـذِبُهُـمْ وَعَـدْلُهُـمْ ... جَـــوْرٌ وِمِـيـزُهُـمْ وَخِـيـمُ الْـمُـأْكَـلِ
وَسِـلْـمُـهُـمْ حَـرْبٌ، وَبَـذْلُ مَـالِهِـمْ ... تَـغَـلُّـبٌ بِـالْـكَـيْـدِ وَالـتَّـحَـيُّـلِ
وَالـسُّـمُّ فِي جِـوَارِهِـمْ وَقُـرْبِهِـمْ ... وَمـسْـلِـمْ بِـنَـارِهُـمْ لَمْ يَـصْـطَـلِ
عَـلَى الْـقَـوِيِّ كُـتِـبَ الْجِـهَـادُ لاَ ... كِـنْ هِـجِـرَةٌ عَـلَى الضَّـعِيفِ الْأَعْـزَلِ
وَمَـــا بِـــقُـــوَّةِ الـــسِّـــلاَحِ عِـــبْرَةٌ ... لاَ فُـرْقَ بَـيْنَ صـعْـدَةٍ وَمـنْـصَـلِ
وَكِـلْـتُـمُ الـدِّيـنَ إِلَى مَـنْ دُونَـكُـمْ ... مِـنَ الـلُّـصُـوصِ بِيسَ شَـأْنَ الْـوَكِـلِ
إِنَّ الْجِـهَـادَ ذِرْوَةُ الـسِّـنَـامِ لاَ ... يَـبْـغِـي بِـهِ بَـاغِ الْهُـدَى مِـنْ بَـدَلِ
هَـلْ تَـكْـرَهُـونَ فِي الْجِـهَـادِ غَـيْرَ ... إِحْـدَى الْحُـسْـنَـيَـيْنِ جَـنَّـةٍ أَوْ نَـفَـلِ
لَـوْ حَـارَبُـوا الْـعِـدَى كَـمَا بَيْـنَهُـمْ ... لَـثُـلَّ عَـرْشَ الْـكُـفْـرِ دُونَ مَـهْـلِ
أَسْـمَاؤُهُـمْ تُـنْبِـئُ عَـنْ تَـدْمِـيرِهِـمْ ... فَـمَا لَهُـمْ بِـحُـرِّنَـا مِـنْ قِـبَـلِ
خَـيْـبَـتُـهُـمْ فِي (خـوب) والكبت ... لِـلْـكَـابْـتِـين وَالـتَّـكْـبِـيلِ لِـلْـمُـكَّـبَـل

(١) المرجع نفسه، صص: ٣٠-٣١.

وَعَـــدَنَـــا اللهُ بِـــنَـــصْرِهِ وَمَـــا لِـــكَـــلِـــمَاتِ اللهِ مِـــنْ مُـــبَـــدِّلِ

والشاعر في هذا النص يوجه اللوم إلى المؤيدين، ويدعم رأيه بتعداد عيوب ومثالب الفرنسيّين الذين يصفهم بالكفار، وأنهم خونة، وأنهم وراء الفتن والحروب المحتدمة، ويرد في صميم كلامه على المؤيدين بأن الهجرة إنما هي على الضعيف الأعزل: أي عديم السلاح. ويذكر ثمرة الجهاد وأنها إما الشهادة عند الهزيمة، وإما الغنيمة عند النصر، ويرميهم بأنهم لو حاربوا العدي كما يحاربون إخوانهم من بني جلدتهم لانهدم عرش الكفر وما تقوم له قائمة...

ويتضمن النص شحنة عاطفية قوية للشاعر في قوة إيمانه وتشبعه بالثقافة الإسلامية.

وفي ذم المستعمر ووصف جو الاستقلال، يقول أحمد حيدر المالي [١]: [من البسيط]

تَـبَّ الـتَّـسَـلُّـطُ، فُـكَّ الْـقَـيْـدُ وَانْـدَثَـرَا بِالسَّيفِ وَالْفَأْسَ ثَارَ الشَّعْبُ فَانْتَصَرُوا

دُقُّـوا الطُّبُولَ فَشَهْرُ الْمَجْدِ قَدْ طَلَعَ إِنِّي أَرَى النُّورَ فِي أُفُقِ السَّمَا اِنْتَشِرُا

نَـحْـنُ الْـبُـنَـاةُ بَـنَـيْـنَـا الْـمَـجْـدَ مِـنْ عَـرَق نَـحْـنُ الْـحُـمَـاةُ إِذَا مَـا خَـائِـنٌ غَـدَرَا

تَـبَّـتْ يَـدَا سَـارِقٍ وَتَـبَّ مَـا كَـسَـبَـتْ يَـدَاهُ مِـنْ عَـمَـلٍ وَكُـلُّ مَـا ادَّخَـرَا

نَهَـبَـتْ مَـوَارِدَنَـا ، أَفْـنَـتْ مَـنَـاجِـمَنَـا وَأَنْـتَ كَـرَامَـتُـنَـا ، قِـنَـا : كَـفَـى وَتَـرَا

وَاسْـأَلْ فَـرَنْـسَـا، وَسَـلْ مَـنْ رَامَ عِـزَّتَـنَـا نَحْنُ الدَّمَارُ، وَنَحْنُ السِّلْمُ ، مُقْتَدِرَا

وراح بعضهم يطعنون في عقيدة النصارى التثليثية الآثمة، قال الشيخ أحمد بامبا[٢] يخاطب السلطات الفرنسيّة: [من الكامل]

(١) عمران كبا ، المرجع السابق، ج:١،ص: ١٧٨ - ١٧٩.

(٢) مؤسس الطريقة المريدية في بلاد السنغال، عاش ما بين (١٢٦٩هـ/ ١٨٥٣م -١٩٢٧- ١٣٤٥هـ).

يَـا جُمْـلَـةً قَـدْ ثَـلَّـثُـوا بِـضَـلاَلِهِـمْ مَـنْ لَمْ يَـكُـنْ وَلَـدٌ لَـهُ أَوْ وَالِـدُ
أَخْـرَجْـتُـمُـونِي نَـاطِـقِـينَ بَـأَنَّـنِـي عَـبْـدُ الْإِلـــهِ وَإِنَّـنِـي لَمُـجَـاهِـدُ
وَظَـنَـنْـتُـمْ أَنَّ الْمُـدَافِـعَ عِـنْـدَنَـا وَالْـكُـلُّ مِـنْـكُـمْ ذُو قِـلَى وَيُحَـاسِـدُ
وَمَـقَـالُـكُـمْ حَـقٌّ فَـإِنِّي عَـبْـدُهُ وَخَـدِيـمُ عَـبْـدِ اللهِ وَهُـوَ الْحَامِـدُ
وَمَـقَـالُـكُـمْ إِنِّي أُجَـاهِـدُ صَـادِقٌ إِنِّي لِـوَجْـهِ اللهَ جَـلَّ أُجَـاهِدُ
إِنِّي أُجَـاهِـدُ بِـالْـعُـلُـومِ وَبِـالتُّـقَـى عَـبْـدًا خَـدِيـمًا وَالْمُـهَـيْـمِـنُ شَـاهِـدُ
إِنِّي لَـهُ عَـبْـدٌ خَـدِيـمٌ لِـلـنَّـبِـي وَهُـوَ الْمُـقَـدِّمُ وَالشَّـفِـيـعُ الشَّـاهِدُ
صَـلَّى عَـلَـيْـهِ بِـآلِـهِ وَصِـحَـابِـهِ بِـسَـلاَمِـهِ رَبُّ الْإِلـــهِ وَاحِـدُ
صَـلَّى عَـلَـيْـهِ مُـسَـلِّـمًا وَأَعَـاذَنِي مِـنْ قِـتْـلِـنَـا إِبْـلِـيـسَ وَهُـوَ الْمَـارِدُ
وَأَقَـامَـنِـي سُـبْـحَـانَـهُ بِـالْمُـصْـطَـفَـى فِـيـمَا بِـهِ تَـأْتِي الْمُـنَـى وَأُشَـاهِـدُ
وَبِـهِ كَـفَـانِي أَهْـلَ كُـتْـبٍ قَـدْ طَـغَـوْا وَالْـكُـلُّ مِـنْـهُـمْ بِـالتَّـنَـازِعِ حَـاسِدُ
سَـيْـفِـي الَّـذِي يَـفـرِي طُـلَـى مَـنْ ثَـلَّـثُـوا تَـوْحِـيـدُهُ فَـهُـوَ الْإِلـــهُ الْـوَاحِـدُ
تَـبًّـا لِـقَـوْمٍ قَـدْ ثَـلَّـثُـوا بِـضَـلاَلِهِـم مَـنْ لَـمْ يَـكُـنْ لَـهُ أَوْ وَالِـدُ
أُفٍّ لِـقَـوْمٍ أَشْرَكُـوا وَذُكُـورُهُـمْ غُـلْـفٌ وَكُـلٌّ جُـبَّـأٌ وَ مُـكَـابِـدُ

ويذكر في مناسبة القصيدة أنّه قد شبّ حريق هائل في منزله – رضي الله عنه – بطوبى - السنغال ، وبالتّحديد في دار المنّان ؛ وحرصًا على ردّ البيت إلى وضعه الطبيعيّ ، جعل وفد من أتباع الشيخ يحملون إلى دار المنّان بعض اللوازم المنزلية من السرر وغيرها وهم على صهوات الجياد وأسنمة الجمال ، فوشى الوشاة بينه وبين السلطات الاستعماريّة بما يفيد أنّ الشّيخ يشكّل ميلشيات الحرب على أساس الجهاد ظنّاً منهم أنّ الوفد يحملون أسلحة للمواجهة بتدبير من الشيخ أحمد بامبا ؛ ممّا أوغر

صدور المستعمرين عليه علاوة على مضايقاتهم له ، فاتّخذوا تدابير حاسمة ضدّه بنفيه إلى موريتانيا، واللهّ خير الماكرين ؛ فقال هذه القصيدة تنديدا لعقيدة التثليث ، وردّا على مثيري هذه التّهمة المزعومة.

وهو القائل أيضا في مخاطبتهم:

كَتَبْتُ فِي الْبَحْرِ أَنِّي لاَ أَمُدُّ يَدِي إِلَى النَّصَارَى عَبِيدِ الْمَاءِ وَالطِّينِ

يَدِي لِمُغْنٍ كَرِيمٍ مَالِكٍ صَمَدٍ لاَ لِلدَّرَاهِمِ تَأْتِي مِنْ سُلَيْطِينِ [١]

والمناسبة أنه – رحمه الله– في منفاه في الغابون «Gabon» كان يرفض المبلغ الذي كان يصرفه إليه الفرنسيّون المحتلون، بل كان يعتمد في مصروفاته العادية على مبلغ كان يأتيه من مريديه بالسنغال على نحو منقطع، وقال أبياتا – ومنها هذان البيتان – يذكر فيها أنه لا يحتاج إلى هذه الدراهم التي تأتي من النصاري، والذين يصفهم بأنهم عُبَّاد الماء والطين؛ طعنا في عقيدتهم [٢] .

وفي موضع آخر يفيد هذا الشيخ أن الله تعالى انتقم له من الأعداء فانهزموا ، فيشكر ربه على ذلك ، فقال:

ظُلْمِي اِتَّحَى بِنَصْرِ قَاهِرٍ كَسَرْ سِلاَحَ مَنْ كَانَ يُبَاهِي فَانْكَسَرْ

لَهُ شُكُورِي وَأَمَاتَ مَنْ مَكَر فِي «جَيْسَشٍ « وَمَوتُهُ زَادَ الْفَكرْ

لَيْسَ لَهُ سِوَى نِكَالٍ وَفَتَرْ بَعْدَ اجْتِهَادِهِ وَعَاقَهُ الفترْ

فِي الَبَرِّ وَالْبَحْرِ وَخَانَتْهُ النَّفَرْ هَوَّلَهُ انْتِقَامُ رَبِّي وَفَرْ [٣]

---

(١) من قصيدة له مطلعها: رمنا شكور الذي بالكاف والنون** ما شاء يفعل من بادٍ ومكنون .

(2)https://kebemer-kebemer-blogstop.com/200803/2008//blogstophtml?m1 visite le 162025/09/

(٣) عامر صمب ، الأدب السنغالي العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر– ١٩٧٨ ج٢، ص: ٢٥٣ البيت من قصيدة للشيخ الخديم مقيدة بقوله تعالى:»مثل الجنة التي وعد المتقون».

ومن هذا الصنف من يعبر عن سخطه وتبرُّمه من المستعمر على سبيل التعريض، كما قال القاضي مَجَخَتِ كَلَ[١]

اللهُ يَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَبَدًا أَهْوَى أُنَاسًا أُحَيِّيهُمْ بِـ» بُونْزُورُ«[٢]

فالشاعر لم يصرح بأنه يناصبهم العداء، وإنما أشار إلى لغتهم؛ فقوله: «**بُونْزُورُ**» (bon jour) يعني صباح الخير بالفرنسيّة. إلا أنه استخدم مؤكدات كالقسم، و«**أَبَدًا**» لإفادة التأبيد. وقد يكون موقفه شبه الموالي للاستعمار هو ما حمله على هذا التأكيد تبرئةً لساحته. والتنكير في « **أُنَاسًا** « للتحقير.

والواقع أن القاضي لم يكن يتخذ أسلوبا عنيفا في تعامله مع الفرنسيّين؛ إذا وجدناه ينصح الشيخ أحمد بامبا بالهدوء واللين وضبط النفس في تعامله معهم؛ نظرا لقوة شكيمتهم وصعوبة مراسهم وسيطرتهم على البلاد والعباد[٣].

ومن النثر: رسالة أبي بكر بن حامد إلى الإخوان المسلمين أهل دلَّ ومن معه، والتي جاء فيها: « فبموجب البراءة إليكم أنا قد عزمنا -إن شاء الله- على قتال النصارى، أعداء الله، في سبيل الله؛ لإعلاء كلمة الله؛ لأنهم أفسدوا الدين والدنيا.

أما إفسادهم للدين؛ فولايتهم على المسلمين، والكافرُ إذا تولى الأمر، لا يصلح منه شيئا، فكان كمن رعى الغنم بأرض مسبعة، ونام عنها، وتولاها الأسد؛ بل إنهم قاتلونا، فكيف نخاف أن نقاتلهم، وهم لا يخافون أن يكفروا بالله، ورسوله؟

فقد وجب اليوم على جميع أهل لا إله إلا الله، أن يجتمعوا رجلا واحدا، وقلبا واحدا، وأمرا واحدا؛ لقتال أعداء الله؛ ليهلكهم الله، ويدمرهم تدميرا، أو نخرجهم من بلاد المسلمين أذلة، وهم صاغرون، قال الله تبارك وتعالى: ﴿**فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ**

---

(١) شاعر وقاض سنغالي متميز عاش مابين ١٢٤٧هـ/ ١٨٣٢ - ١٣١٩هـ/ ١٩٠٢).

(٢) عامر صامب، المرجع السابق، ج٢، ص:٥٥.

(٣) محمد جختي، القاضي مجختي كَلَ، الذي على الله توكل، ٢٠٠٨، (غير منشور).

إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾[١]. [٢]

الوحدة الثالثة: المغلوبون على أمرهم:

أو المسامحون للمستعمر، وهذا موقف السواد الأعظم من شعب المنطقة، ويقسم عبد الرحمن سيسي تعامل هذا الصنف مع المستعمر الغاشم على تعامل دبلوماسي، وتعامل مطبوع بطابع التبعية [٣]

أما التعامل الدبلوماسي فهو أمر الوجهاء؛ فبعضهم تعاملوا مع الفرنسيّس ثقافيا واجتماعيا، وسياسيا دون تبجيل لهم أو ذوبان في ثقافتهم. ومن نماذج المراسلات الثقافية بين الطرفين تلك المراسلة التي جرت بين الملقب بـ«الإمام السيوطي « بتنبكت (مالي)وبين المعلم الفرنسيّ هوداس، يشكره فيها الإمام على رد أمانته المتمثلة في كتاب «تاريخ الفتاش» الذي استعاره هواس منه عام ١٨١٤م/ ١٤١٤هـ[٤]

وهناك مراسلة سياسية بين السيد عبد الوهاب محمد سيد أحمد الوادنوي الجلقمي الشنقيطي بتنبكت إلى قنصل الدولة بالقاهرة[٥].

وأما التعامل بالتبعية، فقد أخذ الفرنسيّون زمام السلطات كلها حتى القضائية، يحكمون بين المسلمين، ويتحاكم إليهم في قضايا اجتماعية، كتسديد ديون وإحصاء إرثِ ميتٍ [٦].

وهناك سلوك الاعتزال ومقاطعة كل ما له صلة بالنظام الاحتلالي، وقد أفتى أصحاب هذا الاتجاه بعدم جواز مرافقة النصارى ومنع لبس زي العسكر، وأثاروا

---

(١) النساء ٧٦.

(٢) عبد الرحمن سيسي، المرجع السابق، صص: ٢٤-٢٥

(٣) المرجع نفسه والصفحة، ص: ٤٢

(٤) المرجع السابق، ص: ٤٢

(٥) المرجع نفسه والصفحة.

(٦) المرجع نفسه ص: ٤٣.

تساؤلا هل يتمتع المصاحب لهم بالرُّخَص الشرعية من تقصير الصلاة والإفطار؛ حتى إن في العام ١٣٣١هـ / ١٩١٠م ألف محمد الأمين بن عبد الوهاب رسالة في بيان الطرق الشرعية للذين يعملون مع الدول الفرنسيّة [١]

الوحدة الرابعة: فئة غامضة الموقف

حسب كبا عمران ، أن هناك صنفا رابعا من الأدباء لهم موقف غامض؛ فهم لم يعلنوا عن موالاتهم للمستعمر، ولا عن كراهيتهم له ...[٢].

ونظرا إلى طبيعة هذا الصنف، فلا يمكن لنا إيراد نماذج من نصوصهم، وليست عندنا قرائن تفصح عن موقفهم.

ويمكن تفسير تبنيهم لهذا الموقف الغامض بعدة احتمالات:

الاحتمال الأول: أن يبطنوا في قرارة أنفسهم تأييد النظام الاحتلالي، ولكنهم لا يستطيعون أن يبوحوا بذلك؛ خوفا من وصمة العار من أهاليهم.

الاحتمال الثاني: أن يبطنوا في قرارة أنفسهم رفض النظام الاحتلالي، ولكنهم لا يستطيعون أن يبوحوا بذلك؛ خوفا من جبروت الفرنسيّين وبأسهم.

الاحتمال الثالث: أن يكونوا في حيرة من أمرهم، فليس أمامهم ما يبرر التأييد أو الرفض، ولا حتى التسامح، فآثروا بالتالي التوقف في الأمر.

هذا، ومن زاوية أخرى، قد يكون لبعض هولاء الأدباء موقف صريح من الاستعمار تأييدا أو رفضا، أو تسامحا، ولكن لم تصلنا نصوصهم لا شعرا ولا نثرا، بأن وقعت في خضم النسيان، أو تكون عبارة عن مخطوطات مركونة في مكتبات خاصة، أو ضنّ بها الخلف، فلم يقدموها إلى مراكز حفظ المخطوطات.

ويحتمل أيضا أن يكون الفرنسيّون المستفرقون قد عثروا على نُتَفٍ منها، فاستأثروا عليها، أو أهملوها ؛خاصة إذا كان يمس كرامتهم ويقدح بهم؛ فهم لم

---

(١) المرجع نفسه والصفحة.

(٢) عمران كبا ، المرجع السابق ، ج١، ص: ١٧١.

يدعموا الأدب الإفريقيّ في جانب منه [١]

وبالنظر في هذه الاحتمالات مجتمعة، يمكن القول بأنه ليس هناك ما يسوّغ الجزم بأن موقفهم غامض، بل إن عدم العثور على ما يدل على صريح موقفهم من الغزو الفرنسيّ لا يكفي دليلا على أنهم أصحاب مواقف غامضة، فقد يعتقدون موقفا لا يسجلونه في كتاباتهم، أو تكون نصوصهم في هذا الشأن ضائعة كما أسلفنا.

(١) علي شلش ، الأدب الإفريقيّ، عالم المعرفة، ١٩٢٣، ص: ٤٠.

خاتمة:

قدمت هذه الدراسة تحليلا إجماليا لمواقف أدباء غرب إفريقيّا ، وعلى وجه التنصيص مالي والسنغال تجاه الاحتلال الفرنسيّ. وكانوا في ذلك على فئات أربع: مؤيدون؛ ومعارضون ؛ ومغلوبون على امرهم؛ وفئة رابعة لم تفصح عن موقفها . وقد انتهجت الدراسة سرد نماذج من نصوص كل فئة على حدة شعرا ونثرا، وإن كان الصنف الرابع لا نجد له نصوصا بحكم موقفه الغامض وإيثاره السكوت المطبق بما ينسجم مع طبيعته .

والدراسة ، بالرغم من أهميتها وطرافتها، لا تعدو منطقتيمالي والسنغال ، كما لا تعمد إلى تحليل الرصيد الأدبي ونقدها نقدا أدبيا فنيا، وإنما أعطت بشكل منقطع تحليلات وتعليقات أولية إلى الشرح أقرب منه إلى النقد الفني ؛ وذلك استجابة للجانب الاجتماعي والإنساني الذي يساير طبيعة العمل.

وعليه، فإن من يريد تناول الموضوع من زاوية أخرى ، فسيجد في هذا العمل مادة أدبية وزخما لا بأس به ، ليجري من خلال ذلك بحثا آخر أعمق ، خاصة إذا وسَّع من حدود الدراسة ، ليتناول عددا من دول الغربي الإفريقيّ ، أو أراد بحثا يقوم فيه بتحليل فني أسلوبي لهذه النصوص.

وهذا الأدب، في نهاية المطاف، لم يكن مجرد تعبير فني، بل كان صوتًا يعكس صدى الاستعمار في وجدان الأمة.

المصادر والمراجع:

١- عبد الرحمن سيسي ، **صدى الاستعمار الفرنسيّ في مخطوطات السودان الغربي** ، دار القلم للنشر والترجمة والتدريب ، ماماكو-مالي، ط:١، ٢٠١٩

٢- عامر صمب ، **الأدب السنغالي العربي**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر- ١٩٧٨

٣- محمد جختي، **القاضي مجختي كل، الذي على الله توكل، ٢٠٠٨**، (غير منشور).

٤- علي شلش ، **الأدب الإفريقيّ**، عالم المعرفة، ١٩٢٣.

٥- عمران كبا، **الشعر العربي في الغرب الإفريقيّفي القرن العشرين**، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم الثقافية، إيسسكو٢٠١١.

6- Mouhamadou Mansour DIA, **pensée sociologique de Elhadji malick SY** : kikayatu-ar-raa'hibiin, essai,abis-édition, 2013.

7- Hhttps://kebe-mer- kebemer-blogstop.com/2008/2008/03/blogstoph-tml?m١ visite le 16/09/2025.